السليقة من تجميد اللغة ولكن هذه المدرسة لم يتح لها أن تنمو وتؤدى رسالتها لأسباب تتعلق بالعصر من جهة وبطبيعة القائمين على هذه المدرسة من جهة أخرى.

أما المأخذ الثانى فهو يتعلق بالاستقراء وهو شديد الصلة بالمأخذ الأول فكأن النحويين سارعوا باستنباط القواعد حسب المنطق قبل أن يستكملوا جمع المادة اللغوية وتصنيفها فكان هذا سبباً فى كثرة الاستثناءات والشواذ فى قواعد اللغة حتى أصبحت عبارة: (فى المسألة قولان) كالعلامة المسجلة يدمغ بها الناس النحو والنحويين وإن كان للشواذ سبب آخر هو اختلاف لهجات القبائل العربية قبل الإسلام. وهكذا لاتكون قضية التبسيط مسألة (بسيطة) كما يظن كثيرون، وما أحسبنا بحاجة إلى التبسيط بقدر حاجتنا إلى تطبيق المنهج العلمى ودراسة اللغة العربية ونحوها على أسس أسلم وأدق. والحق أن قضية التبسيط ترد حين نتحدث عن الطرق التربوية الفضلى لتدريس النحو، وقتئذ يمكن أن نستفيد من طرائق الغربيين فى التربية والتعليم ونصطفى منها ما يتناسب وطبيعة لغتنا حتى نتوصل إلى طريقة لتدريس النحو تختصر على الشادن أكبر جهد ممكن وتزين له دراسة اللغة وتوصله إلى المورد عن أقرب طريق[1].

لقد رسم عبد القاهر الجرجانى فى (دلائل الإعجاز) طريقاً جديداً للبحث النحوى، تجاوزاً لأواخر الكلمات، وعلامات الإعراب، وبين أن للكلام نظماً وأن رعاية هذا النظم وإشباع قوانينه هى السبيل إلى الإبانة والإفهام، وبرهن على أهمية النظم، ورجوع ميزة الكلام إلى أصوله. ولايكون الضم فيها ضماً ولا الموقع موقعاً حتى يكون قد توخى فيها معانى النحو، وإنك وإن عمدت إلى ألفاظ فجعلتها تتبع بعضها بعضاً من غير أن تتوخى معانى النحو لم تكن صنعت شيئاً تدعى به مؤلفاً، وتشبه معه بمن

---

(١) اللغة العربية إضاءات عصرية، د / حسام الخطيب، ص ٨١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.